

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 – التعمير البشري في شمال إفريقيا

كان الفينيقيون أول أمة بحرية في التاريخ تجوب البحار وتوسّس الطرق البحرية بين الشرق والغرب وتقسيم المراكز التجارية التي تحولت فيما بعد إلى مستوطنات وتنشر حضارتها وحضاريات غيرها من الأمم في مختلف جهات العالم القديم

تاريخ الفينيقيين لا يتناول احداثنا عسكرية او تاريخ ملوك وقادة ولكنه يتناول تاريخ شعب مسام كان له موقع استراتيجي مميز على شاطئ البحر المتوسط في شرقه وغربه وبالرغم من نشاط الفينيقيين البحري اقتصر في بداية تاريخهم على شرق البحر المتوسط وذلك لأن وطنهم الاصلي يقع هناك الا ان توسعهم في منطقة غرب البحر المتوسط بدا منذ نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد وربما قبل ذلك وقد ازداد النشاط الفينيقي في تلك المنطقة بعد تأسيس مدينة قرطاج على الساحل الأفريقي وذلك في عام 814 قبل الميلاد

تهدف هذه المحاضرة الى القاء الضوء على نشاط الفينيقيين و مراكزهم التجارية في غرب البحر المتوسط قبل تأسيس قرطاج وينقسم عناصر المحاضرة

مقدمة عن الفينيقيين اصلهم واسمهم واسباب التوسيع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط
أهمية غرب البحر المتوسط للفينيقيين مستوطنات شمال غرب البحر المتوسط

وخاتمة

1- من هم الفينيقيون ؟

يذهب بعض المؤرخين بالاعتقاد أن الفينيقيين شعب جاء من جبال زاغروس الواقعة شرق العراق¹ استقروا أولاً على تلك الرابية الحضراء أوغاريت، المطلة على البحر المتوسط، شمال مدينة اللاذقية اليوم ثم انتشروا منها بعد ذلك على طول الشاطئ السوري – اللبناني – الفلسطيني، وأقاموا مملكة أوغاريت في شمال سوريا ضمت المملكة مدينة أوغاريت عاصمة على تل رأس شمرة إضافة إلى عشرات القرى الأخرى¹. أما هيرودوت وسترابون فيرجع أصل الفينيقيين إلى جزيرة دلمون (البحرين حالياً)، وهناك رأي آخر يرجهم إلى البحر الأرتييري الذي هو اليوم بحر العرب، حيث نجد تشابه

¹ - محمد الدنيا ، الفينيقيون وأساطيرهم ، دمشق، 2011، ص 3.

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

في أسماء المدن الموجودة في عمان ولبنان مثل صور، بينما فريق آخر ان الفينيقيين هم من أصل كنعاني نزجو من شبه الجزيرة العربية في اواسط الألف الرابعة قبل الميلاد.²

ولعل اقدم النصوص التي اوردت اسم الفينيقيين و تحدثت عنها هي أشعار هوميروس صاحب الملحمتين³، و جاء اسم الفينيقيين في كتب المؤرخ اليوناني هيرودوت: " يقولون إن هؤلاء الأشخاص الذين أتوا من شواطئ البحر الإريتري على شواطئ بلادنا، انطلقوا في رحلات طويلة عبر البحر، بمجرد أن استقروا في البلاد التي يسكنونها حتى اليوم، وقاموا بنقل بضائع مصر وآشور إلى بلدان مختلفة⁴ و غيرهما كثيرون فالكلمة اليونانية التي استخدموها في هذا الصدد هي "Phoinikes" وهي نفس الكلمة التي وردت في المصادر اللاتينية كـ "Tite-Live" و الشاعر فيرجيليوس (Virgile) سنتهم.

و الفينيقيون حسب هذه المصادر يقطنون بأقصى السواحل الشرقية من البحر المتوسط وهو ما يقابل لبنان الحالية وأشهر مدنهم هي صور ، جبيل ، صيدا.

و الكلمة Phoinikes مشتقة من الكلمة اليونانية Phoinix و التي تعني صبغة الأرجوان التي اشتهر بها التجار الفينيقيون و كانت هذه المادة تستخرج من أحد أنواع المحار الذي يوجد بوفرة على السواحل اللبنانية كان الفينيقيون من كبار التجار في عصرهم مما جعلهم يجوبون البحار و يؤسسون المصارف و المدن على شواطئ البحر المتوسط .

2- الفينيقيين اصلهم واسمهم

يتبع الفينيقيين الى الشعوب السامية التي استقرت على الساحل الشرقي للبحر المتوسط واستخدم الفينيقيون انفسهم لفظه كنعان Kn'an للدلالة على البلاد التي استوطنها ولفظ الكنعانيين على الساحل وهي مشتقة

²-لبيب عبد الساتر ، تاريخ الحضارات، بيروت، 2007، ص.ص. 74

³-Homere, Odyssée, XV, 400–449, Traduction française: Médéric DUFOUR – Jeanne RAISON, Homère, L'Odyssée. Paris, Garnier, 1961

⁴-Hérodote, Histoires, Livre I, 1, hypertexte avec la trad. P.-H. Larcher, Paris, 1882

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

من فعل كنع الذي يعني في اللغة السامية الفينيقية إنخفض ويقصد بها الأرض المنخفضة بالنسبة لجبل طوروس وهضاب أرمينيا في الشمال⁵ ولقد اطلق الاغريق اسم phonikes فونيكس عليهم واسم phoinikis فونيكيين على بلادهم وربما كلمه phoinikes تعني النخلة او أنها تعني لون الارجوان الاحمر الغامق ولكن بلادهم ليست من البلاد التي اشتهرت بواحاتها ونخيلها ولذلك فإن الارجح فإن الفونيكس تعني اللون استخرجه الفينيقيون من بعض الأصداف البحرية واستهروا صبغ المنسوجات بهذا اللون الأرجواني⁶ ومن ناحية أخرى اطلق الرومان لفظ بوني للدلالة على القرطاجيين وغيرهم من الممثلين لهذا الشعب في غرب البحر المتوسط وبذلك وفرقوا بينهم وبين الفينيقيين في الشرق حيث أطلقوا على هؤلاء اسم phoenices فونيكس وان كانوا يعترفون بانتمائهم الى جنس واحد⁷.

وكما سبق الإشارة فان من المرجح أن التوسيع الفينيقي بدا في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد حيث وصلوا إلى أعمدة هرقل مضيق جبل طارق وأسسوا العديد من المراكز التجارية في غرب البحر المتوسط كما سنتناول فيما بعد.

3- عوامل التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط:

أ- الأهداف الاقتصادية:

- كان هدف الفينيقيين الرئيسي من الرحلات البحرية هو البحث عن المناطق التي تزخر بالثروات المعدنية والزراعية والأسواق التجارية وهذا ما يفسر ظهور المراكز التجارية والأماكن القريبة من مناجم الفضة والنحاس والأراضي الزراعية مما دفع العناصر الفينيقية إلى الهجرة من موطنها الأصلي تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة إلى هذه المراكز والاستقرار بها ثم تحولت هذه المراكز إلى مستوطنات بعد فترة طويلة وظلت مرتبطة بالوطن الأم دون ان تفقد استقلالها الذاتي وهكذا اسس الفينيقيون نظام استيطان غير مستغل للشعوب وهو توفير الأرض فائض السكان من الفينيقيين والثروة لفقرائهم والغذاء لأبناء شعبهم في تلك المستوطنات الجديدة او في الوطن الأم

⁵ - محمد الصغير غانم، معلم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار المدى، الجزائر، 2003، ص 58

⁶ - حصة تركي المذال، المراكز والمستوطنات التجارية الفينيقية في غرب البحر المتوسط قبل تأسيس قرطاجة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مجلة العدد 41، شوال 1437، ص 139.

⁷ - المرجع نفسه، ص 140.

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

- ايضا من الاسباب التي دفعت الفينيقيين خروجهم من بلادهم الاصلية كان لبيع بضائعهم المصنعة وجلب المواد الأولية في المناطق التي وصلوا اليها في حاجتهم الى المواد الخام من اجل مصنوعاته ايضا العوامل البشرية والطبيعية والسياسية دفعتهم للخروج الى البحر المتوسط وإنشاء المراكز التجارية⁸
 - كان البحر متوسط خاليا من كل الوسطاء التجاريين فيما عاد التجار الفينيقيين وبذلك استغلوا وساطة تجارية بين الشرقي المتوسط وغربي اي بين شعوب متقدمة صناعيا وآخرى متخلفة لا تحسن الى الاستهلاك ولها ثروة معدنية كبيرة وعلى هذا الاساس كانت قادس هي الهدف المقصود ثم تلتها فيما بعد بقية المستوطنات الأخرى⁹
 - إقبال سكان غرب البحر المتوسط على اقتناه البعض الذي كان يأتي بها التجار الفينيقيون من شرقين متوسط وذلك راجع الى تأخرهم صناعيا
 - توفر المعادن الثمينة في غرب المتوسط لاسيما شبه جزيرة ايبيريا غرب افريقيا وجهل السكان المحليين لتعدين هذه المعادن في نفس المكان¹⁰
- ب- الاسباب اجتماعية:** كما أن هناك أسباب اجتماعية دفعت الفينيقيين لخروجهم:
- زيادة عدد السكان في مدينة سور التي كانت تتزعم مدن الساحل الفينيقي الشرقي فعالجت هذه المشكلة بتأسيس المستوطنات في الخارج لاستيعاب عدد من سكانها الزائد¹¹
 - قلة الموارد الغذائية التي أصبحت تو تواجهها مدن الساحل الفينيقي خاصة بعد الحروب التي كانت تشب من حين لآخر داخل بلاد الكنعانيين مثل الحروب الآرامية العبرانية والتي كان من نتائجها الهجرة من الداخل الى الشريط الفينيقي الساحلي الذي كانت موارده الزراعية محدودة¹² فقد اشار جوستان "Justin" عند حديثه عن تأسيس احدى قرطاج الى ان هناك سببين اقامتها اولا العدد الكبير من السكان في صور وثانيا محاولة إخراج الشباب من المدينة للتخلص من مشاكلهم التي قد

⁸ أبو المحسن عصفور ، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 113.

⁹ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 63.

¹⁰ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 63.

¹¹ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 32.

¹² محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 63.

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

تؤدي إلى الحقن الضرر بمصالح الطبقة الاستقراطية الحاكمة وهم سيبان يبرز يبرزان النمو السكاني الكبير والصراعات الداخلية بين أفراد الهيئات الحاكمة¹³.

الأسباب السياسية:

- تعود العوامل السياسية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسيع في البحر الأبيض المتوسط، إلى الصراع السياسي والعسكري الذي كانت تخوضه الدول المجاورة للساحل الفينيقي من أجل الاستيلاء عليه كالحضارة المصرية في واد النيل، والإمبراطورية الحيثية في آسيا الصغرى، ثم الحضارة الأشورية في بلاد الرافدين التي بدأ نفوذها في المنطقة بعد القضاء على الدولة الحيثية التي لم تستطع التوسيع نحو الغرب، وازداد نفوذ الأشوريين في فترة الملك "تجلات فلاسر الأول" الذي يعتقد أنه غزا سوريا وبلاد الحثيين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث تمكّن من إدخال عدّة مدن كجibil وأرواد وصور ضمن الدول الخاضعة لسيطرته، بعدما أرغمت على دفع الجزية¹⁴.

- خلو غرب البحر المتوسط خلال الألف الثاني قبل الميلاد من الحروب وعدم الاستقرار والتنافس بين الإمبراطوريات التي كان يسود في شرقه حينذاك¹⁵

- كثرة التنافس والنزاعات داخل المدن الساحل الفينيقية بصفة عامة ومدينة صور بصفه خاصة. هذه المخاوف أدت بالفينيقيين إلى تأسيس مستوطنة بعيدة وفي مناطق خالية من كل الصراعات وبذلك اختارت غرب البحر المتوسط.

4- مستوطنات الفينيقية الباكرة

بدا الفينيقيون مستوطناتهم على سواحل الحوض الشرقي المتوسط منذ الألف الثاني قبل الميلاد فقط مدّوا سيادتهم على جزيرة قبرص منذ وقت المبكر واسسوا فيها مدنًا عديدة منها كيتيون (Kition) (جنوب شرق قبرص) وكان لهم معاملات واسواق تجارية نحو سواحل الحوض الغربي للمتوسط في صقلية وسردينيا وشمال إفريقيا واسبانيا هذا ويصعب التعرف على الكيفيات الأولى لهذه العلاقات فيظهر ان الفينيقيين وأقاموا علاقات

¹³ - Justin, Histoire universelle, XVIII , 5 , trad. Jules Pierrot, Collection Panckoucke, 1833

¹⁴ - نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج 3، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة 1966، ص 119.

¹⁵ - محمد الصغير غانم ، المرجع السابق، ص 63.

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 – التعمير البشري في شمال إفريقيا

طيبة مع السكان المحليين لهذه المناطق والذين كانوا الطرف الآخر في هذه المعاملات التجارية فلا نسمع خلال هذه الفترة عن أي إشارة للصدام او المقاومة بين الطرفين¹⁶.

تعتبر مدينة مدینیتی قادس في اسبانيا وليكسوس في المغرب أهـما اقدم المستعمرات التي أسسها الفينيقيون 1110 قبل الميلاد وبعدها بقليل اوتیکا في تونس¹⁷ فللاحظ سترابون ان الفينيقيين استقروا عند قادس بوقت قصير بعد حرب طروادة¹⁸ وعلى كل يمكن القول بان التواجد الفينيقي في المغرب قد بدأ اعتبارا من نهاية القرن 12 قبل الميلاد هذا يظهر ان الدافع الرئيسي لاختراق الفينيقيين الحوض الغربي من المتوسط كان بسبب التجاره الراحة وخاصة مع تارشيش Tarshish في اسبانيا من معادن الفضة والنحاس والقصدير

اما استقرارهم في جزيرة صقلية فيظهر ان أهميتها قد تلقت انتباهم الا عند بدء تواجد ومنافسه الإغريق لهم اعتبارا من القرن السابع قبل الميلاد وهذا وطـد الفينيقيون المستوطـنات الموجودة في غـرب الجـزـيرـة وـكان أـهمـها باـنـورـمـوس Panormus وـموـتـيا Motya وـسوـتوـس Sotus كما أـهمـ سـيـطـرـوا على جـزـيرـة سـرـدـيـنـيا وأـفـامـوا فيـها مـسـتـوـطـنـات مـثـلـ تـارـوـس Tharros وـسـرـولـكـيـس Sulcus ويـظـهـرـ أنـ استـعـمـارـهـمـ لـهـذـهـ الجـزـرـ كانـ بـعـامـ حـمـايـهـ طـرـيقـ تـجـارـيـ إـلـىـ اـقـصـىـ الغـرـبـ وـخـاصـةـ مـنـ الإـغـرـيقـ مـنـافـسـهـمـ الأـكـبـرـ فيـ حـوـضـ المـوـسـطـ¹⁹.

وقد جـرـىـ الحديثـ كـثـيرـاـ حولـ طـرـيقـ التـعـالـمـ معـ السـكـانـ بـالـطـرـيقـ الـخـرـسـاءـ الـتـيـ روـاهـاـ لـنـاـ هـيـرـودـوـتـ وـالـتـيـ كانـ يـتـمـ عـلـىـ أـسـاسـهـاـ التـبـادـلـ التـجـارـيـ منـ قـبـلـ القرـاطـاجـيـنـ معـ السـكـانـ فيماـ وـرـاءـ أـعـمـدةـ هـرـقـلـ مضـيقـ جـبـلـ طـارـقـ " يقولـ القرـاطـاجـيـونـ إـنـهـ خـلـفـ أـعـمـدةـ هـرـقـلـ تـوـجـدـ دـوـلـةـ مـأـهـوـلـةـ بـالـسـكـانـ يـذـهـبـونـ إـلـيـهاـ لـلـتـجـارـةـ . وـعـنـدـمـاـ يـصـلـوـنـ إـلـىـ هـنـاكـ ،ـ يـأـخـذـوـنـ بـضـائـعـهـمـ مـنـ سـفـنـهـمـ وـيـرـتـبـوـنـهـاـ عـلـىـ طـوـلـ الشـاطـئـ .ـ ثـمـ يـعـوـدـوـنـ إـلـىـ سـفـنـهـمـ ،ـ حـيـثـ يـصـنـعـوـنـ قـدـرـاـ كـبـيـرـاـ مـنـ الدـخـانـ .ـ وـعـنـدـمـاـ يـرـىـ سـكـانـ الـبـلـادـ هـذـاـ الدـخـانـ ،ـ يـأـتـوـنـ إـلـىـ شـاطـئـ الـبـحـرـ ،ـ وـبـعـدـ أـنـ يـضـعـوـنـ الـذـهـبـ ثـمـاـ لـلـبـضـائـعـ ،ـ يـبـحـرـوـنـ بـعـيـدـاـ .ـ ثـمـ يـتـرـكـ القرـاطـاجـيـونـ سـفـنـهـمـ ،ـ وـيـفـحـصـوـنـ كـمـيـةـ الـذـهـبـ الـتـيـ تـمـ إـحـضـارـهـاـ ،ـ وـإـذـاـ بـدـاـ لـهـمـ أـنـهـاـ تـوـافـقـ مـعـ سـعـرـ بـضـائـعـهـمـ ،ـ يـأـخـذـوـنـهـاـ وـيـغـادـرـوـنـ .ـ وـلـكـنـ إـذـاـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ مـاـ يـعـادـلـ

¹⁶ - محمد خير أورفة لي، نظرـةـ حولـ التـواـجـدـ الفـينـيـقـيـ فيـ شـمـالـ إـفـرـيـقـيـاـ خـلـالـ الـأـلـفـ الـأـوـلـ قـبـلـ المـيـلـادـ، حـوـلـيـاتـ جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ، 1997، صـ224.

¹⁷ - محمد المادي حارش، المرجـعـ السـابـقـ، صـ35.

¹⁸ -Strabon, Géographie, I,3 ,2, hypertexte avec la trad. A. Tardieu, Paris, 1909.

¹⁹ - محمد خير أورفة لي، المرجـعـ السـابـقـ، صـ225.

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

قيميتها، يعودون إلى سفنهم، حيث يظلون هادئين. ثم يعود الآخرون ويضيفون شيئاً ما، حتى يقتنع القرطاجيون. إنهم لا يظلمون بعضهم البعض أبداً. لا يلمس القرطاجيون الذهب إلا إذا كان يساوي قيمة بضائعهم؛ ولم يأخذ السكان المحليون البضائع إلا بعد أن أخذ القرطاجيون الذهب²⁰ حاليا خلال القرن الخامس قبل الميلاد فمن الممكن جداً أن هذه الطريقة نفسها كانت مستعملة من قبل الفينيقيين خلال الفترة الأولى من تواجدهم على كل لدينا أيضاً رحلة حانون التي جرت خلال القرن الخامس قبل الميلاد فرغم أنها متأخرة فهي توضح لنا إلى حد ما طريقة زرع المحطات التجارية والمستوطنات.

5- مراحل التوسيع الفينيقي ببلاد المغرب القديم:

أ- مرحلة الارتياح الباكرة : من الصعب أن نضع حداً زمنياً فاصلاً بين المراحلتين بسبب إنعدام البقايا الأثرية الفينيقية تقريباً بسواحل بلاد المغرب القديم لما قبل القرن الثامن قبل الميلاد غير أنه بالرجوع إلى المصادر الأدبية الأغريقية واللاتينية على حد سواء يمكننا أن نفترض أيمكننا ان نفترض ان هذه المرحلة تبدأ في اواخر القرن 12 قبل الميلاد تأسيس محطة العرائش ليكسوس على ساحل محيط الأطلسي ببلاد المغرب الأقصى سنة 1110 قبل الميلاد إلى جانب محطة برج بوساطور اوبيكا سنة 1101 قبل الميلاد وتتواصل هذه المرحلة حتى القرن الثامن قبل الميلاد غير انها يمكن ملاحظته بهذا الخصوص هو ندرة المصادر المادية المتعلقة بها ويرجع سبب ذلك إلى اكتفاء الفينيقيين في هذه المرحلة في تأسيس مراكز مؤقتة أنجذبت بمواد سهلة التلف وبالتالي سهله الاندثار بمجرد التخلی عنها يضاف إلى ذلك ان غياب المقابر المتنمية الى هذه المرحلة فسره الكثیر من المؤرخین المعاصرین بكون الفينيقيين كانوا يدفنون موتاهم بوطنهم الام واذا ما كانوا نجهل كيفية إقامة هؤلاء ببلاد المغرب القديم خلال هذه المرحلة إلا انه يمكننا الاعتقاد ان ذلك تم في ظروف سلمية اعتمدت أساساً على التبادل التجاري ومقايضة سلع بلدان البحر الأبيض المتوسط

ب- مرحلة الاستيطان: تعد هذه المرحلة مكملة للمرحلة الأولى وترجم في تحول تلك المحطات التجارية المؤقتة إلى مستوطنات دائمة اختاره المهاجرون كوطنه الجديد لهم لأنائهم ويرجعوا هذا التحول بالدرجة الأولى إلى نفوذ الفينيقيين نتيجة ممارسة التجارة لمدة طويلة وهو ما دفعهم إلى إرسال جاليات إلى الغرب جنوب أوروبا صقلية سardinia لإنشاء مستوطنات وهو ما يستجيب أيضاً لمتطلبات داخلية وخارجية المدن الفينيقية لامتصاص الفائض السكاني الذي تعاني منه المدينة الامة وحماية المكتسبات في الحوض الغربي للبحر المتوسط

²⁰- Herodote, Histoires, IV ,196, hypertexte avec la trad. P.-H. Larcher, Paris, 1882 .

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

من الاطماع الأجنبية من جهة والعمل على استغلال احسن للموارد في بلاد المغرب القديم وهذا للدعم اقتصاد الوطن الأم لتصبح في الأخير هذه المستوطنات ملجاً للفينيقيين بعد ظهور الضغط الآشوري ولقاء ولقد دفع الفينيقيون الى الاستيطان في بلاد المغرب ضعف قوتهم في الشرق وتساعد قوة الاغريق في الغرب.

لحة عن بعض المستوطنات الباكرة:

يرجح مجئهم من جهة صقلية كما نلاحظ ان هذا الاستيطان قد سجل دخول المنطقة في العصور التاريخية وأن المستوطنات الفينيقية قد تواجدت في نفس الوقت الذي تواجدت فيه على الساحل الإسباني ونعرف منها اوتيكا وليكسوس وحضرموت والمديتان اللتان عرفت خلال العصر الرومان هيبو ريجيوس (عنابة) وهيبو ديارهيتوس (بنزرت) وكانت قرطاجة تاج المستوطنات الفينيقية في الغرب.²¹ وكان هدف الفينيقيين من التوغل في غرب البحر المتوسط هو الحصول على المواد الخام لاسيما معادن الحديد والرصاص والقصدير من شبه جزيرة ايبيريا والمواد الأولية الأخرى التي كانوا يحصلون عليها من المغرب القديم مثل الملح وريش النعام وجلود الحيوانات اهتم الفينيقيون بالشمال الإفريقي واعتبره مجالاً مناسباً للتوسيع وحل مشاكلهم الاجتماعية الناجمة عن زيادة عدد السكان وخلال هذه الفترة المبكرة كان الفينيقيون يحاولون اكتشاف طبيعة سواحل منطقة الحوض الغربي البحر المتوسط لأماكن تصلح لبناء محطاتهم ومستوطناتهم المقبلة خاصة على شواطئ بلاد المغرب القديم التي كان معظم سواحلها صخرية قد أشار إلى ذلك بقوله فقاموا بحالات بحرية متكررة بهدف التجارة واسسوا مستوطنات كان عدد كبير منها في السواحل على السواحل الليبية وأخرى على غرب وقد تحولت تلك المحطات التجارية المؤقتة وغيرها بمرور الوقت إلى مستوطنات دائمة ويبدو أن اختيارها من طرف المهاجرين كوطنهن الجديد لهم يرجو إلى شهرته وثرائها فجاء أعداد كبيرة من الفينيقيين إلى غرب البحر المتوسط وبدأت تظهر مستوطنات الفينيقية.

1- ليكسوس: عرفت قديماً بمدينة تشميش Ticchemiche أي مدينة الشمس²² أنشئت على الضفة اليمنى لنهر ليكسوس (نهر الدرعا القديم) الذي يصب في المحيط الأطلسي على تل مرتفع يبعد بحوالي 4 كلم شمال مدينة العرائش الحالية من أبرز المستوطنات و يروي لنا بلينوس الأكبر حول ليكسوس بأنها أقدم من قادس وأوتيكا ويستدل على ذلك بأن الإله هرقل (

²¹ - المرجع نفسه ، ص 225

²² - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 73.

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

ملقات) في ليكسوس أقدم من مماثله في قادس وأن أوتيكا تكون قد أسست عام 1101 قبل الميلاد²³، وقد تم تأسيسها على يد البحارة الفينيقين الذين قدموا من شرق المتوسط وفي هذا الصدد يذكر الجغرافي Strabon بقوله : أن الفينيقين الذين إجتازوا أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) كانوا قد أسسوا مستوطنات على شاطئ البحر الخارجي بعد وقت قصير من حرب طروادة²⁴

أما الغرض الذي أنشأت لأجله هذه المستوطنة فقد كان لأغراض إستراتيجية أكثر منها إقتصادية فقد إنطلقت منها فيما بعد خلال القرن الخامس قبل الميلاد رحلة حنون الى غرب وسط إفريقيا ورحلة خملكان الى جنوب غرب بريطانيا²⁵ بحثا عن القصدير والرصاص كما استعنوا بلاكسوس للوصول لسواحل الغرب افريقيا الاستوائية في قصد الحصول على الذهب وجلود الحيوانات والعبيد²⁶.

-2 مستوطنة أوتيكا تأسست مستوطنة أوتيكا من طرف الفينيقين حوالي 1101 قبل الميلاد لتدعيم الطريق الفينيقية نحو المحيط ومن النصوص التي تناولت تأسيس هذه المستوطنة نجد نص أرسطو الذي يقول فيه انه بالاعتماد على الحوريات الفينيقية فان تأسيس أوتيكا كان حوالي 287 سنه واذا اعتمدنا تاريخ قرطاج 813 814 قبل الميلاد تاريخ التأسيس العاصمة البنية فإننا نحصل على تاريخ حوالي 1101 قبل الميلاد²⁷

من خلال هذه المصادر ندرك ان المعلومات التي سقناها من ان الغرض الذي انشئت من اجله أوتيكا كان اقتصاديا واستراتيجيا وذلك لموقعها على الطريق الرابط بين صور وقادس هذا من جهة ومن جهة اخرى وقوعها في سهول شمال تونس العنية بشروائتها الزراعية.

علاوة على ذلك فقد كانت أوتيكا مركزا تجاريا التقى فيها في بداية الأمر التجار الفينيقين بالسكان المغاربة القدماء وقد تعزز مركزها بعد تأسيس قرطاج رغم التنافس الذي كان بينهما فيما بعد

²³-Pline l'ancien, Histoire naturelle, XIX , 63 ,

²⁴ - Strabon, I, 3,2 .

²⁵ - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص73

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

ومن جهة أخرى بدأت التنقيبات في موقع أوتيكا منذ وقت مبكر لا ان حتى الان لم تعطي نتائج هامة فيما عدا بعض الفخاريات والنصب التذكارية التي عثر عليها في قبور القرن الثامن قبل الميلاد وقد أجريت مقارنة فخاريات أوتيكا وقرطاج بتلك التي غط عليها في كل من قبرص وبلاط الإغريق وفلسطين ومصر من أهم الأشياء التي عثر عليها في موقع أوتيكا ذلك الجا الم Gunnari المصري العائد الى فترة الهاكسوس لمصر وكذلك التمام واليد العادية .

3- قرطاج Carthage: تتفق المصادر الأدبية على اعتبار سنة 814ق.م سنة تأسيس قرطاج

من طرف عليسة Alissa التي فرت من شقيقها بكماليون Bighmalion بكنوز زوجها عشر باص Ashrabas الذي إغتاله صهره وبحسب رواية المؤرخ اللاتيني جوستينيوس Justinus في كتابه التاريخ العالمي يكون الحكم قد عاد بعد وفاة الملك ماتان Matan الى ابنيه عليسة وبكماليون ، تزوجت هذه الأخيرة من خالها الغني جدا عشر باص كبير كهنة معبد Melquaret الذي كان يخشى على ثروته من جشع الملك فقدنها في جوف الأرض لكن باغماليون الذي قرر الاستيلاء عليها لم يتوان عن قتل خاله وزوج اخته وهكذا شعرت عليسة أنها مجبرة على الفرار فعرفت كيف تحتم على شقيقها فأبحرت بأموال زوجها ومؤيديها الى جزيرة كريت ثم قبرص ومنها الى سواحل بلاد المغرب القديم، فاشترت قطعة أرض من الملك الليبي Hirbas بمقدار جلد ثور فقطعت الجلد الى أشرطة ورقيقة صغيرة أحاطت بها مساحة تكفي لبناء مدينة وفرضت عليها جزية سنوية ثمن الأرض التي تشغela. وبينما بدأوا حفر أساساتها، عُثر على رأس ثور، مما ينذر بتربة خصبة، وإن كانت صعبة الزراعة، وبالعبودية الأبدية؛ فذهبوا لبناء المدينة في موقع آخر: وأثناء حفرها، عُثر على رأس حصان، رمز للشجاعة والقوة، بدا وكأنه يُقدس مقر المدينة الجديدة. وسرعان ما اجتذبت شهرة المدينة العديد من السكان الذين استوطنوها ووسعوها وعرفت باسم " قرط حدشت "²⁸ يعني المدينة الجديدة .

²⁸ - Justin, Histoire universelle, XVIII,5 .

المحاضرة الرابعة: التوسيع الفينيقي في غرب المتوسط / ماستر 1 - التعمير البشري في شمال إفريقيا

على ضوء هذه الرواية يمكن أن نستنتج أن تأسيس قرطاجة كان نتيجة صراع القصر والمعبد ثم إن حضور الأميرة علیسة شقيقة الملك وزوجة الكاهن الأعظم يبين لنا الطابع الرسمي لهذا الإنجاز ويفسر لنا بما المكانة التي إحتلتتها هذه المدينة فيما بعد ضمن المستوطنات الفينيقية في الغرب²⁹.

²⁹ - محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 46.